12 me Année No. 592

Lundi - 6 - 11 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس


| صفحة | | |
|---|---|---|
| ٩٨١ | العقليـة المصرية . . ... | الدكتور محمد مندور ... .. |
| ٩٨٤ | صـلوات فـكر فى محاريب الطبيعة .. ... . . . .. | الأستاذ عبد المنعم خلاف .. |
| ٩٨٦ | أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه | الأستاذ دريني خشبة ... ... |
| ٩٨٨ | تلك الروح وذلك اليوم ... | الدكتور زكى مبـارك .. |
| ٩٩٢ | اقتراح فى إصلاح الرسم العربى | الدكتور على عبد الواحد وافى |
| ٩٩٦ | ديوان أفراح الربيع . . | الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان |
| ٩٩٧ | إلى الطبيب القدير الدكتور حسين همت ... .. ... | الأستاذ عباس محمود العقاد ... |
| ٩٩٩ | شرح وحدة الوجود .. | الدكتور زكى مبارك ... ... |
| ٩٩٩ | حول أبى فراس الحمداني | الأستاذ أحمد أحمد بدوى ... |
| ١٠٠٠ | المكسوس ومحكمة حكمهم فى مصر ... ... ... .. | الأستاذ مصطفى كمال عبد العليم |


# العقلية المصرية

## للدكتور محمد مندور

لست ممن يركنون إلى اليأس أو يدعون إلى التثبيط ، وبودى لو نفثت فى كل قلب إيماناً بالنفس وأملاً فى الحياة حتى أرى جميع مواطنينا كالكرة من المطاط ، كلما زدتها صدماً ازدادت قفزاً ، ولكننى مع ذلك عودت قرائى الصراحة فى علاج مشاكلنا ، ولقيت دائماً ممن حظيت برأيهم تأييداً حاراً صادقاً . ثم إنى أومن بأنه لا خير فى التعامي عن الواقع ، بل لا خير فى إنكاره ، لأن إنكاره لن يمحوه . وهأنا اليوم أعالج أخص ما نملك كأمة ، وهو العقلية المصرية ولى فى تلك العقلية رأى ثابت استخلصته من احتكاكى الطويل بعقليات الشعوب المختلفة وبخاصة الشعوب الغربية . وسأبسط هذا الرأى ثم أحاول تفسيره لنستنبط ما نستطيع من علاج .

كنت أنا وزملائى من المصريين نتلقى العلم سنين طويلة بالجامعات الأوربية مع طلبة من كافة الأجناس ، ولاحظت أن الكثيرين منا كانوا يتفوقون على إخوانهم فى الدرس تفوقاً واضحاً . ثم عدت وعاد زملائى ؛ فإذا بالقليل منا من يوفق إلى اكتشاف جديد فى ميدان المعرفة ، بل إلى تجديد فكرة

معروفة أو تعميقها ، وعلى العكس من ذلك نسمع أن هذا الزميل الفرنسي ، أو ذاك الإنجليزي قد اهتدى إلى نظرية غير معروفة أو كشف الحجاب عن مجهول في مجال المادة أو مجال الإنسان . وأنعمت النظر في هذا التناقض الواضح فاستقر بنفسي أن العقلية المصرية سلبية قابلة ، بينما عقلية الغربيين إيجابية فعالة . فنحن نستطيع أن نحصل ما يلقى إلينا ، ولسنا بلا ريب دون أحد في قوة الذاكرة ، ولكننا لا نكاد نتخطى دور التقبل والتحصيل حتى يتبلد حمارنا ، ولقد ينجح بعضنا في الجدل ، ولكن مجهوده قلما يعدو نقل الأفكار الأساسية كما تنقل النقود إلى وحدات من البرونز ، ولا يقف تأثير تلك العقلية القابلة عند ميدان المعرفة ، بل يمتد إلى الحياة العملية ذاتها ؛ فترى الكثيرين منا حتى المثقفين ضيق الحيلة سيئي التصرف ، قليلي الاعتماد على النفس والسير على أقدامهم أو الاهتداء إلى السبيل السوي عندما يضطرب حبل الأمور وتشتد المواقف

هـذه ظاهرة لا أظن هناك ما هو أخطر منها في حياتنا ، ولابد من أن نلقي عليها من الضوء ما يظهر مواضع الخلل في بنائها

لعل من أكبر الأسباب التي كيفت العقلية المصرية على النحو الذي ذكرنا تلك الحقيقة الواضحة ، وهي أنه قد يكون عندنا تعليم ، ولكن مما لا شك فيه أنه ليست لدينا ثقافة ، حتى لقد استطعنا في إحدى المقالات السابقة أن نتحدث عن أمية المتعلمين ، والتعليم شيء والثقافة شيء آخر ، وإن كان من الممكن أن يصبح التعليم ، إذا أقيم على مناهج سليمة ونهض به أساتذة أكفاء ، وسيلة من وسائل التثقيف ، التعليم كما نلاحظه عندنا تلقين للمعارف ، وأما الثقافة فتكوين الملكات ، وهـذا مالا وجود له بيننا تقريباً ، وفي الغرب نستطيع أن نقول إن عملية التثقيف تبدأ مع الميلاد ، وهذا هو ما يعبر عنه المفكرون بقولهم إن خلف الأوروبيين قروناً من الثقافة يتوارثونها ابناً عن أب . وهـذا قول لا يخلو من تجوز ، ومع ذلك فهو صحيح ولفهمه يلجأ بعض المفكرين إلى البحث في تأثير النشاط الثقافي على مراكزنا العصبية ، وتوارث تلك المراكز مشكلة مكيفة ، ولكن هـذا بحث نتركه لأنه في نظرنا لا يقل غموضاً ومجازفة عن البحث فيما وراء الطبيعة ، وإنما نقف على العكس من ذلك عند أمرين : اللغة ، وطريقة الحياة . فالطفل الأوربي يحصل بتحصيله لغته اليومية طائفة كبيرة من المعارف التي تملأ سوق الحياة ، وهو يحس بأثر تلك المعلومات الفعالة في كل أموره ويخبر صدقها عن تجربة ؛ فيتمثلها تمثل الهضم ، وإذا بها جزء من تكوينه العقلي ، وهو يسير في حياته على طريقة لا تخلو ، مهما بلغت من البوهيمية ، من منهج وغاية . وتنظيم تلك الحياة المادية ذاته فيه ما يرفع عن كاهله الكثير من تفاصيلها ، حتى ليتكلف أقل الجهد في إعداد ما يحتاجه من طعام أو كساء . وليس من شك في أنه كلما تخلصنا من تلك التفاصيل وأنزلناها منزلة الآلية تحرر الكثير من وقتنا لنصرفه في النشاط العقلي ، وبخاصة القراءة ؛ فالأم في بيتها والأب في عمله يجد كل منهما متسعاً لتغذية تفكيره ، وإذا بجو المنزل تغمره الثقافة التي تنفذ إلى عقل الطفل إن لم تمد خلاياه

لقد ناقشنا بإحدى الصحف مشكلة الأخلاق ؛ فرأينا أن التربية لن تجدي في علاجها قدر ما يجدي إصلاح النظم التي تمكن الفرد من أن يصل إلى حقه ويدفع عن نفسه العدوان بوسيلة كريمة غير الرجاء الذي تفشى في بلادنا كالوباء . وباستطاعتي اليوم أن أجد في نفس هذا الإصلاح علاجاً للعقلية المصرية . وليس بخاف أن العلاقة متينة بين العلم والخلق ، وقديماً قال أحد المفكرين إن علماً بلا خلق خراب للنفس ، وفي الحق ماذا يستطيع في مجال العلم رجل لا يملك حتى الثقة بنفسه والاعتزاز بكرامته . وعندما تضطرب النفس وتتقاذفها الآلام كيف تريدها أن تصبر على كشف مجهول أو متابعة حقيقة أو استقصاء رأي . نعم إن العلماء في كافة بقاع الأرض لا تأخذ نفوسهم شهوة المادة ، وتملقهم الأول إنما هو بجوهر الفكر الخالد ، ولكن هذا لم يمنع الهيئات الاجتماعية التي يعيشون بينها من أن توفر لهم أسباب الحياة ، وتمكنهم من وسائل البحث . وأما نحن فتى وضعنا معملاً تحت تصرف عالم ، أو رزقاً ضرورياً في متناول أديب . وهبنا أبدينا استعداداً لأن نفعل ذلك فكيف السبيل لهـذا العالم ، أو ذاك الأديب أن يظهر مواهبه في بلاد بلغ فيها التفاوت في الثراء مبلغاً عض معه الفقر ملايين من

البشر الذين لا يمكن أن نعدم — لو واتتهم الفرص — أن نميز بينهم على نفر ولو قليل ممن حباهم الله مواهب النفس .

إذن فعدم تهيؤ الجو الثقافي الصحيح في منازلنا ودور تعليمنا من جهة ، وفساد نظمنا الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى عاملان كبيران في تكييف العقلية المصرية . ولربما كان هذا هو السبب في أن الكثيرين ممن يعودون من أوروبا من شبابنا لا يلبثون قليلا قليلا أن يخمد ضغط الوسط ما فيهم من حماسة ويثبط ما في قلوبهم من عزم بحيث لا نستبعد لو أن أحدهم بعد تخرجه باشر حياته العملية في أوروبا لاستطاع خيراً مما يستطيعه هنا ، وإن كنت لا أنكر أن نفراً غير قليل منهم لم ينزحوا إلى الغرب إلا بعد أن أخذوا طابعاً شبه نهائي ، وكانت أمزجتهم من الصلابة بحيث لم تستطع ملابسة الوسط الجديد والتشبع بثقافته وطرق حياته ؛ فلم تجد فيهم رحلة ولا أجدى اغتراب .

والآن كيف السبيل إلى علاج تلك الظاهرة . وهنا قد يصيح بي صائح ، ولكن السبيل واضح تستطيع أن تجده فيما أسلفت من قول ، فما عليك أو علينا إلا أن نصلح نظمنا ، وأن نهيئ ما نريد ونريد من جو ثقافي في منازلنا ودور علمنا ، ولكن هذا الصائح لن يلبث أن يوقفنا في دور ؛ فمن لي ولكم بإنجاز ذلك ، وهو لا يبدو هيناً إلا في الكتابة ؟ هذه إصلاحات لابد أن يسوق إليها رأي عام قوي ، وهذا الرأي لن يتكون إلا باستثارة العقول . والسبيل إلى تلك الاستثارة هو أن نسكت في نفوسنا النعرات الباطلة ، وألا نستنكف في الأخذ عمن سبقونا في الحضارة ، وألا نمل تكرار ما نأخذه عنهم ، حتى يستقر في النفوس وينزل منها منزلة الإيمان ؛ فعندئذ يصبح الفكر عملا ، وإذا بعقليتنا السلبية القابلة تستحيل إيجابية فاعلة . فاليوم الذي نؤمن فيه أن لكل فرد حقاً يجب أن يناله بغير رجاء ؛ فإن لم ينله حكم له به قضاء عادل ، واليوم الذي نؤمن فيه بأن لكل فرد أن يستغل ملكاته ، وأن يمكّن من وسائل ذلك الاستغلال ، وأن جهده لابد أن يقوته على نحو جدير بمستوى الإنسانية ، واليوم الذي نؤمن فيه بأن للفكر الإنساني كرامة لا تدانيها كرامة المال ، حتى تقر الهيئة الاجتماعية لرجاله بما يستحقون من وجاهة وتقدير ، هو اليوم الذي سيعتز فيه المصري بألا تكون عقليته سلبية قابلة ، بل إيجابية فاعلة

محمد مندور

# صلوات فكر
## في محاريب الطبيعة !
للأستاذ عبد المنعم خلاف

### في فيض الحياة

أحياناً ينبثق في روحي فيضٌ غامرٌ من الحياة كما ينبثق الماء في حوض جاف ... ولن يقيد روحي وقت ذاك قيد ما ، بل تكون كمين ثرٍّ تتفجر فتشق الصخر العاتي وتجرف السدود كما يجرف السيل الحصى والحطب والغُثاء ... وأنا حينذاك أُحسُّ بإنسانيتي الفائقة ، ويزداد شعور ثقتي بنفسي وإقبالي على الحياة ...

وأتمنى أن يشيع هذا الشعور الفائق الفياض في جميع أرواح أبناء آدم . سواء كانت أرواح تلك الأجسام العاجيّة الوردية ذات العيون الصافية والشعور الذهبية والعنبرية ، التي أتخيلها راقصة ضاحكة في أفراح الحياة مخمورة بخُمار الحب وسكرات الجمال وطُفور القوة ... أتمنى لهـا ذلك حتى لا يكون خُمارُها خُمارَ الغفلة والزهْـو والركون إلى فترات الحياة اللاهية مع إهمال ما وراء هذا العالم الفاني من العالم الباقي ..

وأتمنى أن تشيع هذه القوة أيضاً وهذا الشعور الفياض في أرواح تلك الأجسام القبيحة الضعيفة الكئيبة ذات العيون المنطفئة والجلود المجمّدة المخدّدة والشعور الكدرة التي تعبث بها نسائم الحياة كأنها شعور جماجم موتى تعبث بها ريح ثقيلة ... والتي تتخيل بياض النهار سواد ليل ، وذهب الضحى خزف تراب ، وحرير الورد إبر شوك وقتاد ... وترقص على ذلك رقصة ذبيح يُجرجِرُ جسمه المتهالك في رعشة الموت وحشرجة الفناء ، وتَمَصُّ ريقها وتأكل أكبادَها من الحسرة ، وتشرب حميم دموعها من الغُصّة وتطعمُ غِسْليناً وزقوماً ... أتمنى ذلك حتى لا يكون وراء هذيانها وبحرانها بحمّى الألم ، وانكسار أعوادها بقاصمات الظهور شيء من يأس الكفر بالحياة والجحود لمستقبلها فيما وراء هذا العالم الفاني من العالم الباقي

فاسكب اللهم فيضك ونورك على أرواحنا ، وأوسع ما بينها وبين رحمتك ، ولا تُظمئها فتجعل هذا الفيض غوراً يغيض ولا يفيض !

### حياة مضاعفة

لست أحيا حياتي وحدي ... وإنما أشعر أني أحياها ومعها حيوات جميع الكائنات التي أدركتها بالفكر والقلب !

وتظهر قيمة رُحْب النفس الإنسانية من مثل هذا الشعور .

إن الإنسان إذا اتصل بالكون اتصالاً وثيقاً كان حَرِيًّا أن يقذف الله مُفيضُ الحياة على قلبه فيوضاً من كل منبع من منابع الوجود التي يتعرف إليها بفكره وقلبه !

### الحياة بالحس وحده

يَلَذُّ لي أن أعيش حيناً بالحس وحده في فراش دافئ وثير في صبح يوم من أيام الشتاء جامد الفكر والجوارح لا أكاد أحرك في فكري وجسدي قوة ! حين أتلقى من الحياة فيضاً من فيوض الشعور بالجسد ! ... حينئذ أستقبل الحياة بأنفاسي وحدها آخذُها شهيقاً وأرسلها زفيراً في رتابة واسترخاء ...

وقد يدور في خلدي حينئذ طائف من الأفكار المختزنة أجترُّها في هدوء كما تجتر الأنعام الجاثمة على العشب الطعام المختزن في كسل واسترخاء واستغراق واستقبال لموجات فيض الحياة من منبعها الحق غافلة عما يدور في الكون ...

حينئذ يحلو لي أن أتسمع إلى أنفاسي تتردد بين الجو وصدري ، وأن أتسمع إلى نبضات قلبي التي تختلج وتهتز لها كل خلية في جسدي وتنقضي بها لمة من لمات روحي ...

حينئذ أشعر بحنان غامر يغمر أعضائي وآلاتي العاملة في دءوب وقوة وصبر منذ أن دارت دورتها الأولى مع نسمة الحياة

التى نفخها فيها نافخ النسمات ، فابتدأت تدور طائمة مع جماعات الأحياء التى ترقص برعشات الحياة !

**الحياة بالفكر وحده**

وفى كثير من الأحيان أشعر بخفة فى جسمى كأنى لا أحمله ولا صلة لى به إلا إذا تحسسته بيدى ... وحينئذ قد أشعر أننى صوتٌ أو نظرٌ أو سمعٌ لا أكثر

يعترينى هذا الشعور غالباً حين أكون فى الظلام فى مهب نسيم رفيق ...

تُرَى ، هل يكون إحساسنا بالكون بعد انسلاخ أرواحنا من أجسامنا هكذا ؟ فنصير كائنات مجردة من الأجسام ، ترى وتسمع وتحس بدون هذه الوسائط المادية ؟

على أى حال إن هذا الشعور مَدْخلٌ ندخل منه إلى عالم كائنات الأفق الأعلى الذى يلى أفق حياتنا ...

**الكون الجديد دائماً**

أرى الكون صباح كل يوم كأنما فرغ من صنعه الصانع الأعلى فى التوّ والساعة ! ولا أجد فيه قديماً إلا ذهنى الذى أحس أنه يعرض علىّ صوراً قديمة من الأيام السابقة ...

إن الله يحتفظ بالكون مُجدِّداً عوامل الحياة والنمو فيه !

ولو أنصفنا لصحونا من نومنا كل صباح كأننا مخلوقون فى ذلك الصباح وحده . ولأهملنا ما فى ذاكرتنا من ذكريات الآلام فى الأيام السابقة ، حتى نتجدد مع الكون

**الكون أبو الهول**

كلما تخيلت نفسى فرداً واحداً فى غمرات الناس ، وذرَّةً ضئيلة بين هذا الكون الواسع الهائل الجبار تنظر بعينين ضئيلتين إلى دولاب الحياة الدائر وإلى وجه الله القيوم على ذلك الكون وما وراءه ، أحسست بهول المسألة الكبرى والنبأ العظيم الذى يثبتّ فى الكون والسر الخفى الذى خلق له ... !

وحينئذ لا أملك إلا ما تملكه الذرَّة الصغيرة التى تحملها ريح عاصف وتضرب بها فى فجاج الأرض فى سفر لا ينتهى !

**روائح الجنة**

الجنة فى الأرض ولكنها غير دائمة ، نراها فى رحاب الجمال فى زمان الربيع فى سكرة الحب فى حالة صفو النفس ورضاها عن نفسها وعن ربها ، وقت أن تقول ليس فى الإمكان أبدع مما كان !

ولو دامت النفس على هذه الحال لاستراح الناس إلى الدنيا باستراحتهم من أحاسيس القبح والشناعة والشقاء واعتكار البال والسخط على الحياة

ولكن الله حين لم يُردْ لنا الدوام فى هذه الأرض ، لوّح لنا بالجمال والقبح ، والرضا والسخط ، والراحة والشقاء ، وداولها على نفوسنا حتى نعلم أن الكمال ليس هنا ، وأن النقص الذى نراه وندركه هنا هو وسيلة إلى إدراكنا للكمال التام هناك .

وما تحلم به النفس من المتاع الدائم والقدرة عليه والانتقال السريع إلى درجة الكشف عن رحاب السموات والأرض فى خطرة النفس ولمحة البصر ، ولقاء الأحباب بعد الموت والخلود معهم ، وعدم وقوف عائق أمام إرادة النفس ، وعدم استعصاء شىء على الإدراك و ... كل أولئك هو من عالم الجنة ، عالم « ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين » و « لهم فيها ما يدّعون » و « لا مقطوعة ولا ممنوعة » و « عرضها كعرض السماء والأرض » و « ما أُخفى لهم من قرة أعين » و « رضى الله عنهم ورضوا عنه » و « رضوان من الله أكبر »

إن الله يداول جميع المعانى الأرضية على القلب البشرى كما يداول « الفنان » أنغامه على أوتار قيثارة . وفى القلب البشرى أوتار الألم لا بد من استعمالها لتبرز نوعاً ما من الحياة لا بد منه فى الدنيا . وانفعال النفس تحت العوامل الدنيوية هو الذى ولد لها خواصها ، وأخرج منها معانيها الكامنة

وكما تحرث الأرض بالمحاريث وتمزق بالفئوس لتخرج كوامن العناصر تُمِدُّ بها الزرع لا بد من حرث النفس بعوامل النعمة والشقاء حتى تخرج كوامنها .

عبد المنعم خلاف

# ٢ـ أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه

للأســتاذ دريني خشبة

فى أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى أن أعداء أبى تمام احتجوا فيما احتجوا به على سرقاته بما رواه[1] أحمد بن أبى طاهر أبو الفضل الكاتب قال: دخلت على أبى تمام وهو يعمل شعراً، وبين يديه شعر أبى نواس ومسلم، فقلت: ما هذا؟ قال: اللات والعُزَّى، وأنا أعبدها من دون الله مذ ثلاثين سنة!

وقد دافع الصولى عن أبى تمام فقال: وهذا إن كان حقاً فهو قبيح الظاهر، ردىء اللفظ والمعنى، لأنه كلامٌ ماجن، مشغوف بالشعر والمعنى أنهما شغلانى عن عبادة الله عز وجل

ثم انطلق الصولى ينفى تهمة الكفر عن أبى تمام، وفاته أن المقصود بالرواية هو إكباب أبى تمام على شعر أبى نواس ومسلم ينتهب من معانيهما ما يشاء. وقد دافع الصولى عن أبى تمام دفاعاً مجيداً، إلا أنه ليس — فى نظرى على الأقل — أمجد من انهام الآمدى[2] له، واستقصائه سرقاته يرجعها واحدة فواحدة إلى أصحابها، هذا وإن اشتط الآمدى وأفرط فى ذلك إفراطاً يبدو من ثناياه تجنيه على أبى تمام، وظلمه له أحياناً ... والذى يعنى الآمدى من سخطنا هو إلمامه الواسع بأشعار العرب، ومقدرته المدهشة فى رد السرقات إلى أصولها من أشعار قائليها، وأستاذيته التى تتجلى فى إدارة حواره بين صاحب أبى تمام وصاحب البحترى، والفصول القيمة التى أظهر فيها سقطات أبى تمام فى الموازين والنحو والبيان والبديع، وما إلى ذلك كله من نواحى الضعف فى شعره

والذى يدرس أبا تمام فى هذين الكتابين الفريدين من كتب النقد العربى، يرى كيف أن الناس — على حد ما ذكره المسعودى فى مروج الذهب[3] كانوا فيه طرفى نقيض ... متعصب له يعطيه أكثر من حقه، ومنحرف عنه معاند له .. أو كما قال أبو الفرج صاحب الأغانى:[4] وفى عصرنا هذا من يتعصب لأبى تمام، فيفرط، حتى يفضله على كل سالف وخالف، وأقوام

(١) ص ١٧٣ (٢) الموازنة بين أبى تمام والبحترى

(٣) ج ٧ ص ١٥٣ (٤) ج ١٥ — ص ١٠٠

يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه، ويستعملون القحة والمكابرة فى ذلك؛ وعبارة أبى الفرج توحى بما كان يضمره لأبى تمام من إعجاب. وقد ذكرنا فى كلمتنا ما كان يقوله دعبل فى شعر أبى تمام، من أن ثلثه سرقة، وثلثه غث، وثلثه صالح. وقد روى الصولى بعد هذا الخبر عن دعبل أنه كان يقول: لم يكن أبو تمام شاعراً. وإنما كان خطيباً، وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر

وقد أشرنا إلى خصومة ابن الأعرابى، تلميذ المفضل الضبى والكسائى، لأبى تمام، وقد وعت بطون كتب النقد أعاجيب شتى من أنباء تلك الخصومة تعد من النوادر فى أخبار الخصومات الأدبية: فمن ذلك ما ذكره الطوسى قال: وجه بى أبى إلى ابن الأعرابى لأقرأ عليه أشعاراً، وكنت معجباً بأبى تمام. فقرأت عليه من أشعار هُذَيل، ثم قرأت أرجوزة أبى تمام على أنها لبعض شعراء هذيل:

وعاذل عذلته فى عــــذله فظن أنى جاهل من جهله

حتى أتممتها، فقال: اكتب لى هذه، فكتبتها له، ثم قلت: أحسنة هى؟ قال: ما سمعت بأحسن منها! قلت إنها لأبى تمام! فقال: خَرِّق خَرِّقْ! أى مزّق، مزّق!

ومع ذلك، فقد كان ابن الأعرابى، هذا الحجة الفاضل، يحفظ كثيراً من شعر خصمه أبى تمام، ويتمثل به، وهو لا يدرى أنه له؟

وعلى هذا النحو كان الناس فى عبقرى الشعر العربى. وعلى هذا النحو، لا يزال الناس فى أبى تمام!

والحق الذى لا يمارى فيه إلا مكابر، أن أبا تمام كان نادرة زمانه فى الشعر العربى، بل إنه لا يزال نادرة هذا الشعر حتى اليوم، فليس فى شعراء العربية من استطاع أن يصور كما صور أبو تمام. وليس فيهم من استطاع تلوين صوره كما لونها هـذا الشاعر المفتن المبدع[1]، وذلك لا يعارض ما أثبته عليه خصومه

(١) مما نذكره معجبين، فى هــذا الصدد، ذلك الفصل القيم، أو تلك الفصول القيمة، التى جلى بها الدكتور الفاضل شوقى ضيف الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول مقدرة أبى تمام على التصوير، وذلك فى رسالته الثمينة «الفن ومذاهبه فى الشعر العربى» تلك الرسالة التى لا نرى بداً من توجيه أنظار شعراء الشباب إلى ما تضمنته من بحوث عميقة جيدة فى الشعر العربى، منذ الجاهلية إلى الآن. ونرجو أن تسمح لنا ظروفنا بمناقشة بعض آرائها التى لا نوافق الأستاذ الفاضل عليها مع اعترافنا بعظم ما فيها من حسنات.

من سطوه الكثير على معانى الشعراء ، ذلك السطو الذى كان يفتن أبو تمام فى إخفاء معالمه وستر مصادره بهذا البهرج الكثير من الصنعة البيانية ، وتلك المركبات البديعية التى كانت تأتى زاهرة باهرة أحياناً ، وملتوية معقدة لا تكاد تفهم أحياناً أخرى : وما ظنك بهذا الالتواء الذى يشتد ، حتى لا يفهمه عبد الله التوّزى ـ أو التوّجى ، تلميذ أبى عبيدة والأصمعى ، الذى قال فيه المبرد : ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبى محمد التوّزى ، كان أعلم من الرياشى والمازنى ! فقد سئل هذا الرجل عن شعر أبى تمام فقال : فيه ما أستحسنه ، وفيه ما لا أعرفه ولم أسمع بمثله ، فإما أن يكون هذا الرجل أشعر الناس جميعاً ، وإما أن يكون الناس جميعاً أشعر منه ! (الصولى ص ٢٤٥) والعجيب أن يعترف بذلك الصولى نفسه وهو (محامى) أبى تمام وقد ذكرنا كلمته التى أقر فيها بأنه : ليس أحد من الشعراء يعمل المعانى ويخترعها ويتكىء على نفسه فيها أكثر من أبى تمام وأنه متى أخذ المعنى زاد عليه ، ووشحه ببديعه ، وتمم معناه ، فكان أحق به ! وقد ذكر الآمدى أن أبا تمام كان يتعالم فى شعره ويتفلسف (الموازنة ص ٢ — ١١) ويصف ممدوحيه بالرمز إلى عقائد بعض الفرق الإسلامية ، فيزيد ذلك فى غموض شعره ويضاعفه ، ويتعسر فهمه على غير من يعرف تلك العقائد ، ويلم بهذه الأسرار : فقوله من مدحة فى أبى سعيد :

فلو صح قول الجعفرية فى الذى تنص من الإلهام خلناك ملهما

لا يفهم حتى نعرف أن الجعفرية فرقة من الشيعة تنتسب إلى جعفر بن محمد ويدعون له الإلهام ، كما يحدثنا بذلك التبريزى فى شرحه لديوان أبى تمام ، وكما نعرف ذلك من كتب الملل والنحل مثلاً ، ثم قل مثل ذلك فيما يصادفك من أبياته التى تنبئ بالمامه بالمذاهب والعلوم والفلك والنحو والمنطق مما كان يجيد الرمز به والإشارة إليه ، متعمداً مرة ، جارياً على سليقته أحياناً . وكله مما لا نرى أنه يدخل فى باب الشعر ، بل هو ، كما ذكرنا فى كلامنا عن ثقافة أبى العلاء تعالم من أبى تمام على أهل زمانه المتعالمين . أما ثقافة أبى تمام الحقة ، فتنحصر فى سعة إلمامه بشعر من تقدمه من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين ، ودقة فهمه لمعانيهم ، وحسن اطلاعه على مذاهبهم . وقد اشتغل فعلاً بالتصنيف الشعرى ، يؤيد ذلك ما ذكره البديعى فى كتابه « هبة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام » من أن له (كتاب الحماسة) الذى دل على غزارة فضله وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ؛ وكتاب فحول الشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ، وكتاب الاختيار من الشعراء . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد !)[1]. وذكر البديعى كذلك سبب تصنيف أبى تمام ديوان الحماسة ، فقال (ص ١٣٨) : « فإنه لما وصل إلى همذان (فى رحلته شرقاً) ، وكان فى زمن الشتاء ، والبرد فى تلك النواحى شديد ، خارج عن حد الوصف ، قطع عليه كثرة الثلج طريق مقصده ، فأقام بهمذان ينتظر زوال الثلج ، وكان نزوله عند رجل عنده خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها ، فتفرغ لها وطالعها واختار منها كتاب الحماسة) ». وفى مؤلفات أبى تمام يقول الآمدى : (ص٣٣) : « كان أبو تمام مشتهراً بالشعر ، مشغوفا به ، مشغولا مدة عمره (بتخميره !) ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة ، فمنها الاختيار القبائلى الأكبر ، اختيار فيه من كل قصيدة ، وقد مرّ على يدى هذا الاختيار ؛ ثم اختيار آخر لم يورد فيه كبير شىء للشعراء المشهورين ، ثم اختيار ثالث تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام ، وأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تلقط فيه أشعاراً من المشرة المقلين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبوبه أبواباً وصدره بما قيل فى الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته وأكثرها فى أيدى الناس ، ويلقب بالحماسة ، ومنها اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة ، إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأت هذا الاختيار وتلقطت منه نتفاً وأبياتاً كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره ،

(١) هبة الأيام ص ١٠ : وفى هذا الكتاب مناقشات ممتعة لسرقات أبى تمام ودفاع مجيد عنه

# تلك الروح وذلك اليوم

للدكتور زكي مبارك

بعد جفوة مسبوقة بنذير يئس القلبُ أثقل اليأس ، واليأس يتجسم أحياناً فيصير أثقل من الجبال ، وأبرد من الثلوج

ثم بدت الحياة لعيني وكأنها بيداء قفراء ليس فيها نبات ولا ماء ولا ظلال

كنت أسير في شوارع القاهرة فأراها تموج بالبِشر والإيناس، وأرى القاهريين كما عهدت مسرورين منشرحين ، كأن الدنيا ليست في حرب شعواء ، وإنما هي في حرب خفيفة الظل ، هي الحرب بين العيون والقلوب

وكنت أنظر فأراني وحيداً شريداً ، وإن كان من يراني يتوهم أني ماضٍ إلى ميعاد ، فقد كانت القاهرة فيما سلف من أيامي ملاعب للمواعيد اللطاف

لقد اغتربت أسابيع كانت لهولها أطول من الآباد ، بفضل الجفوة المسبوقة بنذير من تلك الروح ، وكنت أخشى أن يطول اغترابي فيما بقي من أطياف حياتي ، فما حياتي بعد تلك الروح غير أطياف

هذا هو اليأس ، وذلك طعمه المرير ، وتلك أيامه السود

وحاولت أن أعيش في ظلال الذكريات فتكدر عيشي ، لأن تلك الروح لا تزال بعافية ، وهي سائرة إلى غيري إن ضاعت من يدي ، فما في الدنيا جمال يعيش بلا عاشق ، ولو كان مقدوداً من الصخر الجلمود

لا بد من رجعة أعنف من رجعة السيل ، لابد من اقتناص تلك الروح من جديد ، لأحميها من الضيم وأحمي نفسي من الموت

* * *

قلت لنفسي : إن هنالك غنيمة مضمونة وهي سماع صوتها في الهتاف ، فما نطقتْ كلمة « ألو » إلا تمثلتُ أنها بُلبل جماله كله في الحَلْق

وبكلمتين اثنتين تواعدنا على التلاقي ، فأين النذير ؟ وأين الجفاء ، وأين اليأس ؟

إن عقول المحبين عقول أطفال !

كان يجب أن أنتظر في حديقة البيت ، وأن يكون في يدي كتاب ، مع أني لن ألقى تلك الروح في ضوء المصباح

وتخفق أرواح في الطريق فلا ألتفت ، لأن الروح التي أنتظرها لن تغيب عني ، وإنني لأشعر بخطواتها على أبعاد الألوف من الأميال

ما هذا الذي أراه ؟

إن الروح ثقيل وقد تجسمت في عروس من عرائس البحر في دمياط ، وأنا أتلقاها بقلب قبستُ ناره من كهرباء الوجود

— أنت ؟

— أنا ؟

— ومن أنت ؟

— أنا العاشق الذي صبر فظفر بعد صبوة دامت أكثر من عشر سنين

— وتستحق عطفي عليك ؟

---

ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين ، وهو موجود في أيدي الناس . وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وأنه اشتغل به ، وجمله وكده ، واقتصر من كل العلوم والآداب عليه ، فإنه ما شيء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه ... »

وينتقل الآمدي من ذلك إلى قوله : « ولهذا أقول إن الذي خفي من سرقاته أكثر مما قام منها على كثرها ، وأنا أذكر ما وقع إلى في كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ، فإن ظهرت بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها إن شاء الله »

ثم يأخذ بعد ذلك في حصر سرقات أبي تمام وردها إلى مصادرها . فإلى أي حد وفق الآمدي في ذلك ؟ سنرى

( يتبع ) دريني خشبة

— إن رأيت يا روحى أن تؤدى زكاة الجمال

ثم يدور الحديث بما يعجزنى ، لأن الروح تقول :

« لقد أوحينا إليك »

فما هو إيحاء تلك الروح ؟

أمرتنى أن أصف لحظات التلاقى ولحظات العتـاب ، وتلطفتْ فلم تأمرنى بوصف وجهها الوهاج ، ولو أنى أطعتها لاكتفيت بكلمة واحدة ، وهى أنى بها أعيش ، ولها أعيش ، فما للحياة بدونها مَذاق

غنائى من حياتى هى التعرف إلى تلك الروح ، وانتظار عطفها فى أوقات الكروب ، وليس فى الوجود بجانب عطفها كروب

* * *

ثم صحونا فوجدتها تشكو عدوان أظفارى . كتب الله عليها أن تشقى إلى الأبد بعدوان أظفارى ! إن كنت جرحت جسمها فقد جرحت قلبى ... والجروح قصاص

أنا صحوت ؟ هو ذلك ، وما الذى يمنع من أن أخادع نفسى ؟

قضيت اليوم التالى وأنا لا أصدّق أن ما وعته الذاكرة من وقائع الليلة التى مضت كان وقع بالفعل ، فما تسمح الدنيا الغادرة بمثل ذلك النعيم ، إلا أن يكون حلماً من الأحلام

وأستنجد بالهتـاف لأسمع « ألو » ، ولأعرف أن ما وقع حقيقة لا خيال ، فيكون الجواب بالإثبات مصحوباً بالاستغراب من شطحات صوفية وأنها تلك الروح بوادر جنون

وآخذ بتلابيب الفرصة فأدعو إلى لقاءة ثانية لأقيم البرهان على أنى عاقل لا مجنون

اللقاءة الثانية بالنهار لا بالليل ، وبالصحراء لا بالبيت ، ثم يدور الحديث :

— أنت مصرّ على أن الوجود ليس فيه فضاء ؟

— نعم

— وما دليلك ؟

— الدليل حاضر ، وهو أن ما نراه فضاء هو فى الواقع مسكون بالأربطة الكهربائية التى يتماسك بها الوجود ، وهو باعتراف الجميع مسكون بالهواء ، فهو ليس بفضاء

— سلّمتُ إلى أن أجد ما ينقض رأيك ، ولكن الذى لن أسلم به أبداً هو إصرارك على أن كل موجود فيه حياة حتى الجماد

— الجماد كلمة اصطلاحية فقط ، ولكنه فى الحقيقة يحيا ، كما يحيا الحيوان والنبات ، وأنا سأجد الشـواهد من الحجارة المنثورة فى الصحراء ... انظرى هـذه زلطة فى حجم ثمرة الدوم وشكل ثمرة الدوم

— أتظن أنها دومة تحجرت ؟

— هو ذلك بالفعل ... ثم انظرى فهذه زلطة فى حجم الخيارة وشكل الخيارة

— هى أيضاً خيارة تحجّرتْ ؟

— نعم

— ولماذا لا تتحجر جميع الثمار ؟

— لأنها ليست جميعاً فى قابلية متساوية ولا فاعلية متساوية

— والنتيجة ؟

— النتيجة أن الجماد الذى يتحول من وضع إلى وضع لا يتم له التحول بدون حيوية ، وقد جهل أبو العلاء حين قال :

والذى حارت البرية فيـــه
حيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ من جماد

— وما رأيك فى الآية الكريمة « يخرج الحىّ من الميّت ويخرج الميّت من الحى »

— القرآن يعرض الظواهر التى تعارف عليها الناس لتكون الحجة على القدرة الإلهية أقوى وأوضح ، فمن العجيب فى نظر من لا يعرف أن تكون البذرة الخرساء أصلاً للدوحة الشمّاء ، وأن تكون البيضة الصغيرة أصلاً لطائر جميل يغرد أو يصيح

ولكن البذرة قد تفسد فلا يصدر عنها شجر ولا نبات ، والبيضة قد تفسد فلا يصدر عنها طائر ولا حيوان

— ليس فى الوجود فساد ، وإنما هو تحول ، فالبذرة

الفاسدة والبيضة الفاسدة تتعرضان إلى تعفن تعيش به خلائق

— آمنت بالله وكفرت بفلسفتك

— لن تؤمني بالله إلا يوم تدركين حقائق هذه الفلسفة ، يا محبوبتي الغالية

— وأصدّق أن الحجر فيه حياة ؟

— نعم ، في الحجر حياة ، وأعماره تتفاوت لهذا السبب ، فالحجر الذي يباع رخيصاً في هذا اليوم لأنه لين ، سيباع غالياً بعد ألف سنة لأنه صلب ، وإن صبرنا عليه مليون سنة فقد يتحول إلى جرانيت ، وهذا هو الفرق بين محاجر طره ومحاجر أسوان

— بدأت أفهم

— وأنا لو شئت أفهمت جميع الأغبياء

— أنا غبية ؟

— اسمعي يا غبية ثم اسمعي ، هذا البناء الشاهق مم يتألف ؟ إنه يتألف من جمادات يأخذ بعضها برقاب بعض ، لأنها جميعاً أحياء ، فالجبس يعشق الطوب ، والأسمنت يعشق الحديد ، وبفضل هذا التعاشق تنهض هذه البنايات الشواهق ، كما تبتسم الجير حين يصافحها الماء

— وأنت بالأمس أنكرت الموت ، وهذا أغرب ما سمعت من الآراء

— ليس في الوجود موت ، فالدجاجة التي ذبحناها وشويناها ماتت في نظر الناس ، فكيف تستطيع وهي ميتة أن تثير فينا النشاط حين نأكلها في صباح أو مساء ؟ واللحوم التي ترد إلينا من استراليا محفوظة في علب هي لحوم حيوانات بعضها ذُبح قبل أعوام طوال ، ونحن نأكلها فنشعر بنشاط وأريحية ، فكيف نصدّق أنها ماتت ؟

— إننا نرى بأعيننا ناساً يموتون ، وندفنهم ونترحم عليهم ، ونقيم لفراقهم الحداد

— إنهم يموتون موتاً عُرفياً ، وهم في الواقع أحياء ، فلو بدا لرجل أن يأكل قطعة متعفنة من جثة ميت لأصابته نوبة تؤدي به إلى الهلاك ، وهو نقله من حالة اسمها الحياة إلى حالة اسمها الموت في عرف الناس ... وهنالك صورة أوضح من هذه الصورة في تأكيد الحياة لمن تتوهم أنهم أموات وهي خلود الفكر وتأثيره الموصول من مكان إلى مكان على اختلاف الأزمان ، فأفلاطون لم يمت ، والغزالي لم يمت ، والمتنبي لم يمت ، لأن هؤلاء بتأثيرهم الروحي أحياء غير أموات

— والدكتور زكي مبارك ؟

— هو أيضاً لن يموت ، وسيحيا بفكره وروحه حياة لا يعروها فناء ، وسيقال فيما يلي من الأجيال إنه أول شارح لنظرية وحدة الوجود

— ولكنها نظرية غير إسلامية

— قلت ألف مرة إنني أتكلم باسم الفلسفة لا باسم الدين ، فلا تثقلي عليّ بأمثال هذا الاعتراض ، فأسلافنا ظلموا أنفسهم حين قالوا إن الفلسفة لا تخالف الدين ، وكانت النتيجة أن يمقتوا الفلسفة والدين

— بدأت أفهم

— ألم أقل إني لو شئت أفهمت الأغبياء !

— أنا غبية ؟ أنا ؟

— لو لم تكوني غبية لما كدرت هذه الساعة اللطيفة بهذه الاعتراضات

— وهل يؤذيك أن أدعوك إلى شرح آرائك الفلسفية ليرعوي من يتهمونك في عقيدتك الدينية ؟

— الناس لا يتهمونني في شيء ، فمصايرنا جميعاً محتومة بصورة أزلية ، وليس للمؤمن ولا الكافر إرادة فيما صار إليه ، وليس هناك تعليل واضح لسحر هذه العيون

— عيوني ؟

— عيونك وعيون ليلى المريضة في العراق

— يظهر أن تهمتك بالجنون لها أصل

— نعم ، ومجنون ليلى يتعجب من أن تغزوه ليلى بعينيها الكحيلتين وبينها وبينه مسافات تعجز عن اختراقها الشياطين

— أسكت يا مجنون !

— وهذا الفضاء الذي بيني وبين بغداد ليس بفضاء ، وإنما هو مجال لأسهم سحرية ترسلها ليلى في كل وقت ، وإني لأراها مني في هذه اللحظة كما أراك مني

— اسكتْ ، اسكتْ ، فأنا أخاف أن تقتلني الغيرة

— تغارين من الوهم يا غبية ؟

— ليس هذا بوهم ، إن ليلى تطاردني في كل يوم وتحاول أن تسدّ طريقي إليك

— ومن أجل هذا يا محبوبتي أنكر المكان وأنكر الزمان

— ماذا تقول ؟

— ليلى معنا ، أليس كذلك ؟

— بلى ، وأنا أغار منها أعنف الغيرة

— إذن فليس هناك مكان ، وهل تغارين مما وقع بيني وبينها في سنة ١٩٣٧ ؟

— أغار ، أغار

— إذن فليس هناك زمان

— خبلتني ، خبلتني

— كذلك كانت تقول ليلى ، زادك الله وإياها خبالاً إلى خبال !!

— هذا الحوار ينتهي بنا إلى وحدة الوجود ؟

— إن فهمت مرادي يا أجمل غبية رأيتها في حياتي

— تلميذتك لا تكون غبية

— إذن فاسمعي ، ثم اسمعي ، ليس في الوجود فضاء ولا سكون ولا موت

— آمنت وصدّقت

— وليس في الوجود زمان ولا مكان

— آمنت وصدّقت

— وليس في الوجود ماضٍ ولا مستقبل

— ما معنى ذلك ؟

— معناه ياطفلتي أن الوجود كله خُلِق دفعةً واحدة ، فالماضي والحاضر والمستقبل صور لحقيقة أبدية لا تحول ولا تزول

— لم أفهم.

— ستفهمين ، هل تؤمنين بالأحلام ؟

— أومن بالأحلام

— تؤمنين بأن الرؤيا قد تتحقق بعد سنين ؟

— هو ذلك ، ولي مع الرؤيا تواريخ ، فقد رأيتك في منامي قبل سنين ، وكان في الرؤيا أنك تمزج بين المجادلة والمغازلة لأنخدع لك باسم العقل

— وأنا أيضاً رأيتك في منامي قبل سنين ، وكان في الرؤيا أنك تلميذتي لا معشوقتي

— وانخدعت لك ؟

— تلك أضغاث أحلام !

— أسرع وحدثني عن رأيك في الأحلام

— اسمعي ، الأحلام واقعة بلا ريب ، ولها تفاسير أختصرها في تفسيرين اثنين : التفسير الأول هو تفسير بعض علماء النفس ، وهو أنها تعبير عن رغبات مكبوتة نعبّر عنها في منامنا لنراها بعد أيام أو أسابيع ، والتفسير الثاني هو تفسير الدكتور زكي مبارك ، وهو أن لنا حاسة دقيقة تخترق المستقبل في بعض الأحايين فتحدثنا بما سيكون بعد أزمان طوال

— وكيف نعرف ما سيكون بعد أزمان طوال ؟

— كما يعرف علماء الفلك أن الشمس ستُكسَف أو أن القمر سيُخسف بعد عدد من السنين ، ومعنى ذلك أن الوجود كله خُلق دفعة واحدة ، وأن الرجل الملهَم قد يرى في منامه ما سوف يقع ، لأنه سوف يقع ، ولو طال الزمان

* * *

تلك الروح ، وذلك اليوم ، وآه ثم آه من تلك الروح وذلك اليوم ! تلك الروح ملك يدي ، وإن باعدت بيني وبينها مسافات لا أعترف لها بوجود

وذلك اليوم ملك عيني ، وهو يومنا الهائم بمجاهل الصحراء ، إنه يوم تجسّم فيه إيماني بوحدة الوجود ، وأعلنت فيه إشراكي بأوهام الغافلين

قيل إنه يومٌ ذهب ، وأقول إنه يومٌ لن يذهب ، لأنه سيلاحقني إلى البواقي من أيامي ، وليس لأيامي نهاية ، لأني قَبَس من كهرباء وحدة الوجود .

**زكي مبارك**

# اقتراح في إصلاح الرسم العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

قبل عرض الاقتراح ، يحسن أن أذكر كلمة قصيرة في عيوب الرسم العربي وآثارها ، لأنني قد راعيت في الطريقة الجديدة التي اقترحتها أن يتخلص رسمنا من جميع هذه العيوب وما يترتب عليها من نتائج

ترجع أهم عيوب الرسم العربي إلى الأمرين الآتيين :

( أولهما ) أن الكلمات تدون بحسب هذا الرسم في الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها ، أي مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة ( الفتحة والكسرة والضمة ) التي تلحق الأصوات المقطعية في الكلمة

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلاً صحيحاً إلا إذا كان ملماً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إلماماً تاماً ، وكان فاهماً من قبل معنى ما يقرؤه . ففي معظم اللغات الأوروبية ، كما يقول قاسم أمين ، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم ، وتتخذ القراءة وسيلة للفهم ؛ أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ — أن النص العربي الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تفاوت واسع النطاق في أصوات المد القصيرة ( التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة ) في اللهجات العامية ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية في هذه اللهجات على وزنها العربي الصحيح . فالنص العربي المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم في وزن الكلمات

٣ — أنه من المتعذر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام ( أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناسيّ .. الخ ) قراءة صحيحة ، إلا إذا كان القارئ يحفظ الكلمة وضبطها من قبل . ولذلك تضطر بعض المعجمات إلى تهجي حروف الكلمات التي من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها

٤ — أن رسماً كهذا من شأنه أن يُشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربية الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها في النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيراً من خاصة الناس أنفسهم عن الإلمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن في استطاعتهم ، بفضل هذا الرسم المعيب ، أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملمين بأصول هذه اللغة ، ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر في كتاباتهم أي أثر لقصورهم هذا

( وثانيهما ) أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة : فله صورة إذا كان مفرداً وصورة إذا كان متصلاً بغيره ؛ وله صورة إذا كان في أول الكلمة ، وأخرى إذا كان في وسطها ، وثالثة إذا كان في آخرها

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أن تعدد هذه الصور من شأنه أن يحدث الارتباك والحيرة عند المبتدئين من المتعلمين ويطيل زمن تعلمهم للهجاء

٢ — أنه يكلف المطابع نفقات باهظة في الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء

٣ — أنه يخلق صعوبات في الطبع ويرهق العمال القائمين على صف الحروف ويعسر أمرهم عسراً ، إذ يتردد الواحد منهم بين أكثر من مائة صندوق مختلفة في صور ما تشتمل عليه من نماذج ، فضلاً عن صناديق الشكل وعلامات الترقيم ؛ بينما لا يتردد العامل القائم على صف الحروف الإفرنجية إلا على نحو خمسين صندوقاً

٤ — أن كثرة الصناديق وتعدد الصور للحرف الواحد ، كل ذلك يجعل عمل هؤلاء العمال عرضة للزلل . ومن أجل هذا تكثر الأخطاء المطبعية في الكتب العربية بينما تندر جداً في الكتب الإفرنجية ، مع أن جامعي الكتب الأولى ومصلحي تجاربها يبذلون من الجهد في الجمع والإصلاح أضعاف ما يبذله زملاؤهم في الكتب الثانية

* * *

وقد قُدِّمتْ عدة اقتراحات لاتقاء هذه العيوب وآثارها

ولكن معظم هذه الاقتراحات لا يحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملاً ؛ والقليل منها الذى يحققها أو يدنو من تحقيقها يخلق لنا رسماً يختلف كل الاختلاف عن رسمنا الحالى ، فيقطع بذلك الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ويحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى ، كما بينتُ ذلك بتفصيل فى كتابىّ « علم اللغة » و « فقه اللغة »[1]

وقد كنت رأيت فى كتاب « فقه اللغة » أنه من الممكن التغلب على صعوبات الرسم العربى « بالتزام شكل الكلمة التى من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا تركت بدون شكل »

ولكن ظهر لى فيما بعد أن هذا لا يقضى إلا على قليل من عيوب هذا الرسم ولا يقى إلا من بعض الأضرار التى أشرت إليها آنفاً

هذا إلى أن رسم الشكل فوق الحرف أو تحته مع اتصال الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذى يشغله كل حرف منها يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف فيحدث الارتباك ويوقع فى الخطأ والحيرة . وفضلاً عن هذا كله فإن التجارب قد دلت على أن القلم كثيراً ما زلّ فى تدوين هذه العلامات الخارجة عن هيكل الكلمة وأن النظر كثيراً ما يتخطاها عند القراءة ، فلا تكاد تؤدى الغرض المقصود منها

* * *

لذلك فكرت فى طريقة أخرى تخلّص الرسم العربى من العيبين الرئيسيين اللذين أشرت إليهما وإلى آثارهما فيما سبق ، وتُعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقى القارئ والكاتب شرور الانحرافات المترتبة على هذا الصعود والهبوط ، ولا تقطع الصلة بين قديمنا وحديثنا ، بل تتيح للأجيال القادمة الانتفاع بتراثنا القديم

فاهتديت إلى طريقة يمكن تلخيص أصولها فى الأمور الأربعة عشر الآتية :

١ — أن ترسم حروف الكلمة مفردة منفصلاً بعضها عن بعض بنفس الصورة التى ترسم بها الحروف المفردة فى رسمنا الحالى ؛ هكذا : ا ب ت ث ج ... الخ

٢ — أن ترسم الهاء هكذا : « ه » ، والتاء المربوطة هكذا « ة » ، للتمييز بينهما وللنطق بكل منهما على وجهها الصحيح ، فينطق بالأولى هاء دائماً وينطق بالثانية هاء فى الوقف وتاء فى الوصل

٣ — أن ترسم حروف المد الثلاثة مجردة من العلامات والنقط ، هكذا : و ى ا . وترسم الألف اللينة ألفاً مطلقاً مهما كان أصل الكلمة وعدد حروفها . فكلمات : رمى ، إلى ، على ، متى ... الخ ترسم ألفاً حسب النطق بها

٤ — أن يوضع فوق الواو التى ليست حرف مد علامة ثمانية صغيرة هكذا « وٰ » ( أو أية علامة أخرى ) للتمييز بينها وبين واو المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٥ — أن يوضع نقطتان تحت الياء التى ليست حرف مد ، هكذا « ي » للتمييز بينها وبين ياء المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٦ — أن ترسم همزة القطع ألفاً فوقها همزة هكذا « أ » للتمييز بينها وبين الألف اللينة ولينطق بها القارئ على وجهها الصحيح . وترسم على هذه الصورة أيًّا كانت حركتها وحركة ما قبلها ، وأيًّا كان موضعها فى الكلمة

٧ — أن ترسم همزة الوصل ألفاً فوقها علامة ثمانية صغيرة هكذا « اٰ » ( أو أية علامة أخرى ) وذلك للتمييز بينها وبين الألف اللينة وهمزة القطع ، وللاشارة إلى أنه لا ينطق بها مطلقاً فى الوصل ، وينطق بها همزة فى الابتداء

٨ — أن ترسم اللام الشمسية ( التى لا ينطق بها فى علامة التعريف ) لاماً فوقها ثمانية صغيرة ، هكذا « لٰ » ( أو أية علامة أخرى ) ، وذلك للتمييز بينها وبين اللام القمرية وللاشارة إلى عدم النطق بها

٩ — أن يرسم الحرف الساكن بطبعه غير متبوع بأية علامة ، ويكون تجرده هذا دليلا على سكونه ( وأقول « الساكن بطبعه » لأن الحرف المتحرك إذا سكن فى النطق لعارض كالوقف عليه مثلاً فى آخر الكلمة يكون حكمه فى الرسم حكم

(١) أنظر على الأخص كتاب « فقه اللغة » صفحات ١٧١ — ١٧٥ فى الطبعة الأولى و ١٤٣ — ١٣٨ فى الطبعة الثانية . وانظر كتاب « علم اللغة » صفحات ٢٤٦ — ٢٥٨ فى الطبعة الأولى و ١٨٧ — ١٩٦ فى الطبعة الثانية .

الحرف المتحرك ، فندون حركته وفقاً للقواعد الآتية )

١٠ — أن يرسم عقب الحرف المشدد بطبعه ( كالسين فى « مسّ » ) أو المشدد فى النطق لوقوعه بعد لام شمسية ( كالسين فى « السماء » علامة شدة فوقها فتحة أو ضمة إن كان مفتوحاً أو مضموماً وتحتها كسرة إن كان مكسوراً . فالسين المشددة أو الواقعة بعد لام شمسية ترسم هكذا فى أحوالها الثلاثة : سّ سّ سّ . وذلك للاشارة إلى أن الصوت ينطق به مرتين يسكن فى أولاها ويحرك فى ثانيتهما بالحركة المدونة بعده . وإن كان الحرف المشدد منوناً رسمت علامة تنوينه فوق شدته . فالميم فى « عمٌ » مثلاً ترسم هكذا فى أحوالها الثلاث : مّ مّ مّ

١١ — أن يرسم عقب الحرف المنون غير المشدد علامة تنوينه : فيرسم عقب المفتوح فتحتان هكذا = ؛ وعقب المكسور شرطتان متوازيتان تتصلان بشرطة مائلة هكذا = ( حتى تتميز هذه العلامة عن العلامة السابقة ) ؛ وعقب المضموم علامتان من نوع الفاصلة فى علامات الترقيم هكذا ،، ( وقد فضلت هذا الرمز على الرمزين المتداولين فى التنوين المضموم وهما ٌ ٌ لأن أولهما يلتبس بالواو المكررة وثانيهما يلتبس بالقاف فى خط الرقعة ) فاللام المنونة ترسم فى أحوالها الثلاثة هكذا : ل= ل= ل ،، وذلك للاشارة إلى أن هذا الصوت محرك بالحركة المشار إليها ومتبوع بنون التنوين

١٢ — أن يرسم الحرف المتحرك الممدود بالألف أو الياء أو الواو غير متبوع بما يدل على حركته ، لأن وجود الألف بعده يدل على أنه مفتوح ، والياء على أنه مكسور ، والواو على أنه مضموم . فيرسم المقطع الأول من : قال وقيل وقوت هكذا قا قى قو . إلا إذا كان هذا الحرف مشدداً فتنطبق عليه القاعدة العاشرة السابق ذكرها . ( فكلمة الدارُ مثلاً ترسم هكذا : ا — ل دّ ا ر ، )

١٣ — أما الحرف المتحرك غير المشدد ولا المنون ولا الممدود فترسم حركته بعده : فإن كانت فتحة رسمت وفق صورتها فى الرسم الحالى ، وإن كانت كسرة رسمت هكذا ( حتى لا تلتبس بالفتحة ) ، وإن كانت ضمة رسمت هكذا ، ( حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بصورتها المتداولة )

١٤ — وأما علامات الترقيم فترسم الأنواع الآتية منها وفق صورها فى الرسم الأفرنجى ، وهى ؛ . ؟ ! « » ( ) . أما الفاصلة المجردة virgule ، فترسم فوقها نقطة هكذا ؛ حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بشكلها الأفرنجى وبالضمة إن رسمت بالصورة التى نرسمها بها الآن فى العبارات العربية « ، » . وأما الشرطتان اللتان تحصران بينهما الجملة المعترضة فيستبدل بهما القوسان حتى لا تلتبسا بالفتحة إن رسمتا بصورتهما العادية : فترسمان هكذا ( )

وفيما يلى نموذج لتطبيق هذه الطريقة ، فالبيت والعبارة الآتيان ( وهما يشتملان على نماذج لجميع القواعد الأربع عشرة التى تقوم عليها طريقتنا ) :

السيف أصدق إنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

لكل قاعدة استثناء ، ولكل مطلق قيود

يدونان حسب الطريقة المقترحة على الصورة الآتية :

ا — ل س سّ ي ف ، أ - ص د — ق ، أ ـ ن ب ا أ = م ـ ن —
ا ـ ل ك ـ ت ، ب ـ   ف ى ح ـ د دّ ه ـ ا ـ ل ح ـ د دّ ب ـ ي ن ـ
ا ـ ل ج ـ د دّ   و ا ـ ل ل سّ ع ـ ب ـ

ل ـ ك ، ل لّ   ق ا ع ـ د ـ ة = ا ـ س ـ ت ـ ث ن ا أ ،، ،
و ـ ل ـ ك ، ل لّ   م ، ط ل ـ ق = ق ، ي و د ،،

وتمتاز هذه الطريقة عن جميع الطرق المقترحة من قبل بالأمور الآتية :

— أنها تخلص الرسم العربى تخليصاً تاماً من عيبيه الرئيسيين اللذين أشرت إليهما فى صدر هذا المقال ومن جميع آثارها الضارة التى أشرت إليها كذلك ، وتحقق جميع الفوائد المقابلة لهما

٢ — أنها تعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقى القارىء والكاتب شرور الانحراف المترتب على هذه الحركات وموضعها . وذلك أن طريقتنا ترسم الحركات فى صلب الكلمة نفسها . ولا تشتمل

إلا على ثلاث علامات خارجة عن صلب الـكلمة ؛ ولـكنها تشير إلى أمور أخرى غير حركة الحروف ، وهى الهمزة وعلامة الوصل وعلامة اللام الشمسية وعلامة الواو غير اللينة أ ا ل و

٣ — أنها لا تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، ولا تحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى المدون بالرسم القديم . لأنها تستخدم نفس الصور والأشكال التى يستخدمها هذا الرسم (فيما عدا الـكسرة والضمة والعلامة المميزة لهمزة الوصل واللام الشمسية والواو غير اللينة ـ ، ٨ . على أن العلامتين الأوليين قريبتان جداً من شكلهما القديم ، والعلامة الثالثة لا تغير شيئاً من هيكل الحرف وإنما ترمز إلى أنه غير ناطق أو غير لين ) . فالعالم بهذه الطريقة يستطيع مع شىء يسير جداً من التأمل والمران أن يقرأ الـكتب المدونة بالرسم الحالى

ولا يؤخذ على هذه الطريقة إلا أمران :

( أحدهما ) أنها تطيل رسم الـكلمة قليلاً بالنسبة إلى رسمها القديم . ولـكن ضرر هـذه الإطالة ليس شيئاً مذكوراً بجانب ما تحققه من جليل الفوائد للعربية وأهلها . على أن معظم عيوب الرسم القـديم قد نشأ عن مبالغته فى الاختزال والتعمية وإغفال الرمز إلى كثير من الأصوات التى ينطق بها فى الـكلمة فلا يرجى له إصلاح جدى إلا بالقضاء على اختزاله وتعميته واعتماده على فراسة القارىء . وهـذا يستلزم حتما أن يطول رسم الـكلمة حتى تـكون رموزها معبرة تمام التعبير عن جميع أصواتها . هذا إلى أننا لم نأل جهداً فى تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الاقتصاد فى مجهود القارىء والـكاتب والطابع [1] ، مع عدم الإخلال بالغرض المقصود ، وذلك بما تضمنته طريقتنا من الأصول المشار إليها فى موادها التاسـعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . على أنه من الممكن أن تحذف علامة الحرف المفتوح لكثرة دوران الفتحة فى اللغة العربية ، وتثبت علامة الحرف السـاكن لقلة دوران السكون ، فيتحقق بذلك بعض الاقتصاد ؛ وإن كانت الطريقة الأولى أكثر مطابقة للنطق

( وثانيهما ) أنها ترسم حروف الـكلمة متفرقة . ولـكن رسم الحروف متفرقة أسلوب سليم لا غبار عليه ولا غرابة فيه . فقد سار عليه معظم أنواع الرسم الـسامى ( الفينيقى والعبرى والآرامى والحبشى واليمنى ... ) وسار عليه الرسم العربى نفسه فى أقدم صوره ، ويسير عليه الآن الرسم الأوربى فى الطباعة ؛ بل لقد أخذ هـذا الأسلوب منذ أمد غير قصير ينفذ إلى أقلام الـكاتبين باللغات الإفرنجية ، وأخذت مدارس كثيرة تسير عليه فى تعليم الهجاء الإفرنجى وتأخذ تلاميذها به فى كتاباتهم . وقد رأيت بعد تفكير طويل أن هذا الأسلوب وحده هو الكفيل بتخليص الرسم العربى من عيوبه وتحقيق الغايات التى نرمى إليها على أحسن وجه وأكمله . فبفضله نستطيع أن نرمز إلى أصوات المد القصيرة ( الحركات ) بعلامات ترسم فى هيكل الـكلمة لا فوق حروفها أو تحتها ، وبفضله يصبح لـكل حرف صورة واحدة لا تتغير ، مهما كانت حركته وكان موضعه فى الـكلمة

صحيح أن من اعتاد الرسم والقراءة على الطريقة القديمة التى تقوم على الاختزال ووصل الحروف بعضها ببعض ، سيعانى بعض العنت فى السير على هذه الطريقة المفصلة المتفرقة الحروف . ولـكن قليلا من المران كفيل بتخفيف هذا العنت وإزالته . على أن عبأه سيكون مقصوراً على أهل الجيل الحاضر ممن تعلموا على الطريقة القديمة . وأمر كهذا لا يقام له وزن بجانب ما تحققه الطريقة المقترحة من تقويم الألسنة والأقلام ، وصيانة للعربية الفصحى ، وتسهيل فى طرق تعلمها وتعليمها ، وتثبيت لمـكانتها فى النفوس ، وتمكين كل فرد من قراءة أية عبـارة قراءة صحيحة مهما كانت درجته فى العلم ضئيلة ، ومهما كان ضعيفاً فى مبلغ إلمامه بقواعد اللغة

علي عبد الواحد وافي
دكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(١) تزيد صناديق المطبعة بحسب الطريقة القـديمة على مائة صندوق للحروف فقط ، وتبلغ نحو مائة وثلاثين إذا أضيف إليها صناديق الشكل وملحقاته ؛ بينما تبلغ بحسب طريقتنا ثلاثة وأربعين فقط ، منها ثمانية وعشرون للحروف والباقى للتاء المربوطة والواو والياء غير اللينتين وهمزة القطع وهمزة الوصل واللام الشمسية وعلامتى التشديد والتنوين فى أوضاعهما الثلاثة والفتحة والـكسرة والضمة (ة و ي أ ا ل ـّ ـً ـٌ == ا== ،، — ، ) فالصناديق فى طريقتنا تقل حتى عن صناديق المطابع الافرنجية نفسها .

# ديوان أفراح الربيع

## للشاعر حسن البحيري

## للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

لعلّ الحركة الأدبية فى مدينة حيفا أظهر مما هى فى المدن الأخرى من فلسطين ، فهذا النشاط الدائب الذى نراه فى جمعياتها وأنديتها يجعلنا نقول بهذا الرأى ، ويعزز قولنا ما تطالعنا به في كل مناسبة من مهرجان تقيمه أو ذكرى تحييها تستفز بها الهمم وتوحى إلى الأدباء والشعراء

وقد طالع علينا فى العام الماضى نادى أنصار الفضيلة فى حيفا بديوان الأصائل والأسحار للشاعر الشاب حسن البحيرى ، وإذ قرأنا فيه كلمة اللجنة الثقافية للنادى ، تلك اللجنة التى (أخذت العهد على نفسها أن تخدم لغة الضاد وأن تناضل لتذود عن لغة القرآن ، وأن تبحث وتنقب عن تلك الكتب الضائمة المختفية وراء ظلام الوحدة لتخرج بها إلى عالم النور) أقول إننا إذ قرأنا هذا رأينا أى نهضة أدبية تتطلع إليها عيون الشباب فى فلسطين وأى مطمح نبيل يساور قلوبهم المتفتحة للنور . فأفعم نفوسنا الأمل المشرق وملأها جمالاً وجلالاً وإيماناً بالمستقبل .

هذه ظاهرة ميمونة لم أر بدا من الإشارة إليها إذ أقدم بين أيدى القراء ديوان « أفراح الربيع » لشاعر حيفا حسن البحيرى ، أو شاعر الحب والجمال كما يسميه صديقه الشاعر المصرى أحمد رامى

نقرأ فى هذا الديوان كتاب الطبيعة المفتوح وقد زانت فى منظرها الفتان ، وفى جوها الذى سبح فيه خيال الشاعر تضوع الأزهار وترف الأنداء على ثغورها رقيقة براقة ، وهناك الجدول الراقص يستضحك من فرط الطرب ( ويعزّى من بكى عمـا بكى ) بل هناك الدنيا ترف أمام عيوننا طيباً ونوراً وتعتلىء شذى وعطوراً

والموسيقى وسحر إيقاعها نصيب وافر من الديوان ؛ وكثيراً ما نستمع إلى حنين العود وأنين الناى فيه ، فتتم لنا صور جمال الطبيعة ، تلك الطبيعة التى نشأ الشاعر فى أحضانها المفوّفة وعل من جمالها ونهل ؛ والشاعر كما يلوح لنا موسيقىّ بطبعه وله هيام لاحد له بالموسيقى ، نلمس ذلك فى (ألحان شاردة) وهو القسم الثانى من الديوان . حيث يستهله بقوله :

لئن يوماً حدا بكمو حنين ... لسكان القبور الدارسات
وأوقفكم على قبرى اعتبار ... أو استعبارُ عين الذكريات
فناجونى بناى أو كمان ... لتسمد في حفائرها رفاتى

وفى قصائده « عازف » و « ناى » و « وداع عود » وغيرها من الألحان الشاردة ، نحس بالأنغام التى صيغت من ذوب القلوب ... فبعثت الذكرى وهاجت الشجن ، وقد تحمل الأرواح أحياناً من دنيا الهموم وتجعلها تطوف بأشواقها على متن الغيوم ، وقد يهيج النغم أشجان القمر فيقف على باب مغنيه ويتمنى لو مُدّ بقاء له لكى يتمتع بأنات الوتر . ولا عجب أن نرى وحى الموسيقى يشيع فى الديوان فهى والشعر أخوان تهيم بهما النفس الجميلة ، وتسمو على أجنحتهما إلى دنياوات ساحرة

وهناك من القصائد ما هفت فيها روح الشاعر نحو أليفها حيرى مضطربة ، أذكر منها « الموعود » و « وادى الأحلام » وقد تشيع روحه الحيرى هذه فى كثير من قصائده ولكنها فى هاتين أظهر . ولنستمع إلى هذا العتاب وما فيه من مرارة عذبة ، إذ يقول فى قصيدة وادى الأحلام :

أنسيت عهدك والزمان مسالمى ... فتركتنى والبؤس من أخدانى
أم شاق قلبك غير ودّى شائقٌ ... فرميت بى فى وحدة الأحزان
يا ساليا ما إن ذكرت زمانه ... إلا بكى زمنى وأنّ مكانى

ثم يصف لنا ما كان فى وادى أحلامه من طير وشجر وماء وزهر ، وكيف كان الماء يروى للبنفسج شوقه وهيامه بمراشف الأغصان ، إلى أن يقول :




## إلى الطبيب القدير الدكتور حسين همت

يا صديقى . ويا طبيبي !

دار الحول واقتربت الساعة التى أوشكت أن تكون موعد لقاء منظور ، وقد كانت عندك أفجع فراق مرهوب

مضت ثلاثة أعوام على تلك الليلة التى ناديتنى فيها لتبلغنى كلمة واحدة لم تزد عليها ، ولكنها لا تحتمل الزيادة ، لأنها وسعت من التعبير عن آلام نفسك — أيها الصديق العزيز — ما تضيق به المعجمات والأسفار

ويخيل إلى أننى أسمعها الساعة كما سمعتها منذ ثلاثة أعوام ، لأن للكلمات أرواحاً تعيش وتموت ، وأعماراً تطول وتقصر ، وقلما تموت كلمة مرهونة بألم طويل العمر ، مديد البقاء

عودتَ يا صديقى وطبيبى أن أغالب حسراتى فى هدأة الليل لأعود بعلمك وطبك فى أمرى وأمر الأعزاء عندى ، ولكننى لم أسمع صوتك يطرق سمعى فى هدأة الليل إلا هذه المرة ، ولم أسمع منك فى هذه المرة غير تلك الكلمة الواحدة . ولكنها الكلمة التى جمعت فيها من ألمك ما لم أجمعه فى مئات الكلمات

ماتت !

ولا حاجة بعدها إلى مزيد

وليس من عادتى أن أقحم العزاء على المفجوعين فى ساعة الفجيعة الدامية ، لأننى أحسبه اجتراء على قدس الأحزان لا خير فيه ، ولكنه صوت سمعته لابد له من جواب تسمعه غير الصمت والسكون ... فقلت كأننى لا أعلم ما أقول :

« إنك رجل يا دكتور ، ولن تنفعك الرجولة فى مقام بعد اليوم إن لم تنفعك بالصبر الجميل فى هذا المقام »

* * *

يا من رسمت خياله بمدامعى — وحملت من ذكراه ما أشجانى
أنسيت وادينا وما كنا به — من حلو أحلام وعذب أمانى
كم ساعة للوصل فى أحضانه — سعدت بظل التوت والرمان

ولا أغفل عن ذكر قصيدته الجميلة « زهرة العمر » ومنها :

أخاف على زهرتى أن تموت — وسلوة روحى فى عطرها
لقد سمعت من فؤادى الجريح — شجاه فكتمته فى سرها
وبثت أساه لنظارها — ببسمة شجو على ثغرها

وفى القصيدة نظرات فلسفية فى الحياة والمصير الذى تنتهى إليه

وليس ما يؤخذ على الشاعر الشاب سوى وقوعه أحياناً فى « سناد الردف » وهذا من عيوب القوافى ، فتراه يردف فى القافية بحرف الألف حيث يدع الردف فى القافية التى سبقت أو تلت كقوله فى قصيدة « عيد فى عيد » إذ يشير إلى مولد النبي صلعم :

مولد كالشمس فى إشراقها — ضوأ الدنيا بأنوار اليقين
مالت الشمس له عن شرقها — ثم حيته بإحناء الجبين

وكذلك فى قصيدة « زورق الأحلام » حيث يردف بحرف الياء فى قافية ( الطير ) بينما تخلو قوافى القطعة كلها من الردف مثل النهر والعطر

هذه هنات ما كنت أحب أن آتى عليها لولا إيثارى للشاعر ورغبتى الخالصة فى أن يتجنبها فى القبل من شعره ، وما عدا ذلك فالديوان يفيض بالشاعرية والجرس الموسيقى الذى يشمل كلماته المنتقاة التى تدل على ذوق جميل وطبع أصيل

وتتصدر الديوان أبيات للشاعر أحمد رامي صديق شاعرنا ، فبين الشاعرين تآلف روحى مصدره ذلك الشبه بين روحيهما الهائمين فى سماء الحب والجمال . والديوان رشيق الطبع أنيقه ، مزين بصور طبيعية لبلادنا الحبيبة الفاتنة ، وهذه الصور تكمل فى نفس القارئ شعوره بالجمال ، وقد طبعته شركة فن الطباعة فى القاهرة ونشره محمد احمد حجازى

وإذ أشكر للشاعر الرقيق هديته الجميلة فإننى أهنئه بنتاجه الموفق الجميل .

( نابلس ) فدوى عبد الفتاح طوقان

نعم يا صديقى ، ويا طبيبى !

إنك رجل ذو عزيمة وجلد وإباء . صبرت على الأهوال فى بلاد الأهوال ، وصحبت الحرب الماضية فى البلاد التركية وفى بلاد أوربا الوسطى وأوربا الشرقية يوم كانت تلك البلاد موارة بالخطوب والقلاقل ، موّارة بالفتن والزلازل ، تصبح فى حال ولا تمسى عليه ، وتمسى ولا تدرى كيف يطلع عليها الصباح

وبلوت من الدنيا ما هو أقسى على النفس من أهوال الفتن والحروب : بلوت منها تقلب القلوب وغدر الصحاب وخيبة الظنون

بلوت هذا كله فما وهنتَ ولا شكوت ولا أجريته على لسانك إلا كسمر السامر وفكاهة المتحدث ، وعبرة المعتبر بأحوال الدنيا وخلائق الناس

أنت يا صديقى رجل ذو عزيمة

ولكنك وا أسفاه رجل ذو قلب وذو ضمير . وكثيراً ما يكون القلب وحده مدداً للعزيمة ، والضمير وحده ينبوعاً للصبر والإباء

وها أنت يا صديقى تفجع فى القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الإباء ؟

أكنتُ نسيتُ ذلك كله ساعة أبلغتنى الخبر المشئوم فأهبت منك بعزم الرجال ؟

إن كنت قد نسيته فى تلك الساعة فما كان أخلقنى ألا أنساه ، لأنى لست شواهده قبيل ذلك بأيام ، وشاءت الأقدار أن أسبقك إلى مصاب يهد القوى ويفت فى الأعضاد ، وشاءت الأقدار أن تكون أنت فى لواعج الخوف من وقوع مصابك الأليم ولا علم لى بشىء من ذلك ، لأنك كنت تواسينى مواساة الصديق والطبيب ، وتعوذ من نفسك بعزم أولى العزم ، وتكتم عنى ما كنت فيه

فلما برح بي الألم ولجأت إليك أستمد منك عوناً لهذه البنية ينصرها على البرحاء علمت ما يشغلك ، وعلمت مبلغ صبرك على مغالبة الخوف والفزع والبلاء

علمت أنك هجرت بيتك ولزمت حجرة المستشفى منذ أيام ، وتركت محرابك الذى لا تتركه لتقيم إلى جوار تلك العزيزة التى تودع الحياة : تلك العزيزة التى كان منها مدد قلبك ومدد عزمك ... تلك الزوجة الرؤم بل ذلك الملك الكريم الذى سكنت إليه كما تسكن السفينة إلى الميناء الأمين بعد هوج البحار

علمت أنك تأوى إلى المستشفى منذ أيام ولم أعلم ما حقيقة الداء وما مبلغ الرجاء فى الشفاء ، وكان أغلب الظن عندى أنها عقدة من عقد الجراحة يحلها مبضع الجراح . فلما ذهبت إليك قوّيتَ عندى هذا الظن وتماسكت وتجلدتَ وألححت فى السؤال عنى لتطلق لسانى وتنسينى ما أنت فيه

وها أنت يا صديقى تفجع فى القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الإباء ؟

حين دق الجرس فى هدأة الليل ، وسمعت صوتك يجهش بالبكاء ، ويلقى إلى بتلك الكلمة القصيرة فى حروفها ، الطويلة فى عقابيلها — لم يخطر على لسانى إلا الصبر أثوب بك إليه ، ولولا ذهول المفاجأة لخطر لى أن الصبر قد أصيب فى المقتل المنيع ، لأنه قد أصيب فى القلب الذى يعتصم به الرجل الصبور ، وكثيراً ما يتراجع الرجال بعزائمهم إلى قلوبهم ، فإذا أصيب القلب — فإلى أين يتراجعون ؟

ذلك هو اللغم فى الميناء ، وإنه لأهول من الأعصار فى هوج البحار

واليوم وقد دار الحول دورته الثالثة لا أحاول العزاء ، لأن العزاء تخفيف من الأسى والأسى على الأعزاء عزيز مثلهم ، لا يروقنا أن نمسه بتخفيف

إنما أحاول ترويض الحزن بشىء من التذكير

ولا أذكرك إلا بمصائب الحياة إلى جانب مصائب الموت .

فوالله يا صديقى أن الحياة لأقسى من الموت فى أكثر من مصاب ، وأن قسوة الموت لرحمة فى بعض الأحايين عند قسوة الحياة ، فليست أوجع السهام مخبوءة لنا فى جوف التراب ، بل هى مخبوءة لنا فى رحب الهواء

إن فقدان الموت يورثنا الألم ولكنه الألم الذى لا نهون به ولا نخجل من قبوله ، وقد نشرف أمام أنفسنا بالصبر عليه والحنين إليه

وكم من فقدان فى الحياة يورثنا الألم الذي يُخجل ويضيم ، لأنه ألم لا يجمل بنا أن نحسه ولا يشرفنا الصبر عليه والحنين إليه ، وإنما يشرفنا أن نقتلعه من جذوره كلما استطعنا ، وقد لا نستطيع

كل مفقود بالموت يستحق الحزن عليه ، وكل مفقود بالحياة فالحزن عليه كثير

ولأكرمُ لنا وللأعزاء أن نفقدهم موتى ولا نفقدهم أحياء ، وما رضينا أن نفقدهم على حال من الحالين لو كان لنا اختيار بين الأمرين ، ولكننا مسيرون يا صديقى للقضاء ، ولا حيلة يا صديقى للموتى ولا الأحياء ، مع حكم القضاء

عباس محمود العقاد

## شرح وحدة الوجود

فى غير هذا المكان من الرسالة يجد القراء كلمات كتبتها لنفسى ، ولم أكن أنوى نشرها فى هذا الوقت ، ولكن المقال الأخير للأستاذ دريني خشبة حملنى على تقديمها لمجلة الرسالة ، لتكون جواباً على اعتراضات كثيرة واجهنى بها كثير من أصدقائى ، وتمنوا أن أجيب ، ليستطيعوا الإجابة عنى حين يستطيل أعدائى

وأقول بعبارة صريحة : إن الأستاذ دريني بعيد كل البعد عن نظرية وحدة الوجود ، ومقالاته فى نقضها تشهد بأنه لا يريد أن يسمع ما نقول فى تأييد هذه النظرية ، وأنه يحرص على أن تكون كل فكرة موصولة بالدين الإسلامى ، مع أنى قلت له إنى لا أجعل الإسلام فى بالى حين أواجه معضلات الوجود ، لأن الإسلام ينهانا عن مواجهة تلك المعضلات

وقراء الرسالة يشهدون أنى فررت من الميدان حين رأيت أن ثباتى فيه يعرضهم لبلبلة فكرية لا أريدها لهم بأى حال ، وأنا القائل بأن الجد كالرزق فيه حرام وحلال ، وأنا لهذا أبغض الشهرة المجلوبة بإيذاء الناس

وقال قومٌ إنه كان يجب أن أردّ على الأستاذ معروف الرصافى ، وأقول إنى لن أرد عليه ، لأنه أكرمنى بنقد آرائى ، وأنا أحترم من ينقدون آرائى بإخلاص ... وقد قلت مرة إن الذوق خير ما دعا إليه الأنبياء ، ولهذا المعنى لن أناقش الأستاذ دريني ، لأنه من أعز أصدقائى ، وإن كان ينفر من آرائى

وأنتهز هذه الفرصة فأسجل بيتين هما خير ما قال صديق فى الشوق إلى صديق ، وهما تحية من الشاعر عبد الرحمن البنّاء :

لك يا ابن الغُرّ الميامين نفسٌ خُلقت من مكارم الأخلاق
فرّقتنا الدنيا فهل يا زكىّ أنا باقٍ إلى اللقا ، أنا باق

سأراك يا أيها الشاعر إن سنحت فرصة لزيارة بغداد ، وسأراك إن تفضلت بزيارتى فى وطنى ، فأنا بحمد الله من أكابر الأغنياء فى وطنى ، وسيكون من الشرف أن أهدى إليك داراً فى سنتريس هى طيف من دارك فى بغداد ، يا شاعراً سابق الرصافى إلى إكرامى فى بغداد .

زكى مبارك

## حول أبى فراس الحمدانى

إلى مترجمى دائرة المعارف الإسلامية

قرأت ترجمة أبى فراس فى دائرة المعارف الإسلامية ، فاسترعى نظرى أمران خالف فيهما وجه الرأى مترجمو هذه الدائرة ، والواجب العلمى يقضى بالتنبيه إليهما

أما الأمر الأول فما جاء فى هذه الترجمة من قولهم : « وقبض عليه (أى أبى فراس) المرة الثانية عام ٣٥١ ﻫ (٩٦٢ م) وسيق إلى القسطنطينية وسجن فيها عدة أعوام ، ونظم فى ذلك الحين مراثى مؤثرة رثى بها أفراد أسرته ، ومن بينها مرثيته المشهورة فى أمه التى ترجمها أهلواردت Ahlwardt » . وهذا خطأ واضح ، فإن أبا فراس لم يرث أمه أصلاً ، لأنه مات قبلها كما أجمع على ذلك مؤرخوه

أما القصيدة التى يشير إليها بروكلمان الذى كتب هذه الترجمة ، فليست قصيدة رثاء لوالدته ، ولكنها قصيدة أرسلها إليها وقد ثقل من الجراح التى نالته ، ويئس من نفسه فكتب إلى أمه كأنه يعزيها ، وأول هذه القصيدة التى ترجمها أهلواردت إلى الألمانية

مصابى جليل والعزاء جميل وظنى بأن الله سوف يزيل

والأمر الثانى قولهم : « وتمتاز أشعاره بطابع شخصيته القوى الواضح ، وهى أقرب ما تكون إلى اليوميات . ولو أنها لا تختلف فى أسلوبها عن أشعار معاصريه ، وهى ليست فى روعة أشعار المتنبى »

وقد نقل المستشرق المعروف بلاشير Blachère فى كتابه

عن المتنبي ( ص ٣٣٠ ) رأى بروكلمان الذى ذكره فى دائرة المعارف الإسلامية ، وهو يخالف هذه الترجمة التى نقلناها إذ يقول:

Comme von Kremer, Brockelmann met Aboû Firâs bien au dessus d'Abou -l-Tayyib

أى أن بروكلمان ، مثل فون كريمر ، يضع أبا فراس فى مرتبة أعلى من مرتبة أبى الطيب . ومنه يتبين الفرق بين ما نقله بلاشير عن بروكلمان فى دائرة المعارف وما ترجمه مترجمو هـذه الدائرة إلى اللغة العربية .

أحمد أحمد بدوى
( حلوان ) مدرس بحلوان الثانوية للبنين

## الهكسوس ومدة حكمهم لمصر

اختلف الأستاذان سيد قطب وصلاح ذهنى فى تحديد مدة حكم الهـكسوس لمصر . فهذه المدة فى رأى الأستاذ ذهنى مائتا عام أو أقل مستنداً فى ذلك إلى الفصل الذى كتبه الدكتور أبو بكر فى كتاب «المجمل فى تاريخ مصر العام» ، وهي فى رأى الأستاذ قطب خمسمائة عام مستنداً إلى جوستاف لوبون فى كتاب « الحضارة المصرية القديمة » ، وهذا فارق كبير فى التقدير يحتاج إلى كثير من التحقيق

يقرر الدكتور أبو بكر أن الهـكسوس دخـلوا مصر عام ١٧١٠ ق . م . وطردوا منها نهائياً عام ١٥٨٠ ق.م . فتكون مدة حكمهم قرناً ونصف قرن ويقدر الأستاذ برستد فى كتاب « تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى » المدة بين حكم الأسرة الثالثـة عشرة ( وهى التي بعد إنحلالها أغار الهـكسوس على مصر ) ، وبين نهاية حكم الأسرة السابعة عشرة بمئتين وثمانية أعوام (١٧٨٨ — ١٥٨٠ق م) بما فى ذلك مدة حكم الهكسوس ، ويؤكد أن مدة حكمهم لم تزد على مائة عام ، ويجعل المسيو دريتون فى كتابه : L'Egypte «Les Peuples de l'Orient Médelcrraneén II» مدة حكمهم بمائة وخمسين عاما ( ١٧٣٠ — ١٥٨٠ق م )

أما الذين قالوا ببقاء الهـكسوس بمصر خمسة قرون . فلا أذكر منهم غير المؤرخ اليهودى جوسيفوس الذى زعم أنه نقل عن مانيتون أنهم استمروا يحكمون مصر ٥١١ عاماً . ولكن برستد يقرر أنه لم يوجد على الآثار ما يؤيد كلام مانيتون ، كما يقرر الدكتور أبو بكر مبالغته مدة حكم الهكسوس

ويرجح الأستاذ دريتون حدوث المحاولات التى انتهت بطرد الهـكسوس بين(١٦٨٠ — ١٥٨٠ق.م) ، ويورد قائمة بأحد عشر ملـكا سماهم ملوك الأسرة السابعة عشر حدثت فى أيامهم تلك المحاولات ، فتـكون مدة هذا النضال مائة عام وليست مائتين أو مائة وخمسين كما يحاول الأستاذ قطب تأويل كلام الأستاذ ذهنى

هذا ونأمل أن يتقدم أحد المشتغلين بتاريخ مصر القديم والمهتمين بعصر الهـكسوس بصفة خاصة ، وأقصد به الأستاذ الدكتور باهور ليعرض عصر الهـكسوس عرضاً سليماً صحيحاً ويجلو لنا بصفة خاصة مسألة المجلات الحربية ، ولا يخفى على دارسى تاريخ مصر القديم ما كان للهـكسوس من أثر كبير فى ذلك التاريخ

وبعد فأنتهز هذه الفرصة لأعرب عن أسفى لاستعمال ذلك الأسلوب الذى غلب على الأستاذين المتساجلين ورمى أحدهما الآخر بالتبجح والجهل ، فما كانت الحقائق التاريخية لتخضع لمثل هذا الجدل ، بل لابد أن يدحضها منطق سليم وتؤيدها أدلة ثابتة قاطعة

وكم أود كذلك لو انتفع النقاد بما كتبه الدكتور صبرى فى العدد ٥٩٠ من الرسالة ، فهذا دستور سليم لمن أراد نقداً أدبياً صحيحاً ، فقد سئمنا ذلك الأسلوب الذى جرت عليه المساجلات والمناقشات فى السنين الأخيرة ، وطالما تأذينا من ذلك الصغار الذى يقلب على كتابة كبار الـكتاب ، وكم نرجو أن تـكون الحجة هى الفاصل والعقل هو الحـكم ، والخلق الأدبى هو الذى يسود حتى يتخلص النقد الأدبى من تلك المهاترات التى لا تقدم ولا تؤخر ، بل تنزل من قيمة كاتبها درجات ، ويبعث فى مصر الرأى العلمى الصحيح الذى يزن الأمور بميزان النقد الصحيح . فلا يكون النقد أداة هدم فحسب .

مصطفى كمال عبد العليم
( الأسكندرية ) ليسانسيه فى التاريخ